أولاً : التفكير الناقد

أ. د. محمد مهران رشوان (*)

1- مقدمة :

نحن ـ بلا شك ـ نعيش عصر العلم، ونكاد نشعر فى كل لحظة من وجودنا بتأثير هذا المارد الذى استطاع فى فترة وجيزة نسبيًا من الزمن أن يغير من الحياة البشرية تغييرًا يكاد يكون جذريًا، فأحدث ثورة حقيقية فى كل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والجغرافية، كان له أثره على تغييرات شاملة فى الحياة الاجتماعية والإنسانية على وجه أصبح العالم اليوم كما يقولون أشبه بقرية صغيرة تستطيع أن تجوبها من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها فى دقائق معدودات، وذلك بفضل الثورة التكنولوجية الرهيبة فى وسائل المواصلات والاتصالات والمعلومات.

ولكن بالرغم من ذلك كله، ما زال الكثيرون منا حتى فى أكثر دول الأرض تقدمًا يفكرون بشكل غير عقلانى، وتتحكم فى تفسيرهم للأمور قوى غير عاقلة تفرضها النظريات الدعائية أو السياسية، أو ربما بقايا فكر أقرب إلى الخرافة منه إلى المعقولية، ومن هنا برزت إلى الوجود مسألة العقلانية وطبيعتها وقيمتها، وهى مسألة ما كان يمكن التقليل من أهميتها فى عصر العلم والتفكير العلمى وأصبح هدف التربويين فى جميع النظم التعليمية هو تعويد الشباب ضرورة أن يتعلم فى النهاية كيف يفكر تفكيرًا علميًا وبصورة نقدية، وهل هناك هدف أسمى للكائن البشرى من أن يكون عقلانيًا ينظر إلى الأمور نظرة علمية، ويفكر فيها بصورة نقدية؟!!

(*) أستاذ الفلسفة المتفرغ بآداب القاهرة ـ وعميد كلية الآداب ببنى سويف.

إن الورقة التى نعرضها هى ملخصة تحاول تقديم تصوّر عام لما يسمى بالتفكير الناقد أو التفكير النقدى، وخصائصه وأهميته وخصائصه، وكيفية ممارسته بصورة صحيحة، وصلته بالمنطق الصورى والتفكير العلمى.

2- التفكير الناقد فى مفهومه العام :

لو حاولنا تصنيف التعريفات العديدة التى نقرأها عن التفكير الناقد، لما استطعنا إيجاد جدول محدد يستوعب بدقة كل هذه التعريفات، وهو دليل على أن هذا الاصطلاح فضفاض بصورة واضحة ويمكن النظر إليه من أكثر من زاوية .. كلها بالطبع تتبلور حول تعيين طبيعة التفكير الناقد.

فقد يقال هذا الاصطلاح ليشير إلى صياغة الاستدلالات المنطقية، أو تطور نماذج الاستدلالات المنطقية المترابطة. وهنا لا نكاد نجد فرقًا يذكر بينه وبين مفهوم المنطق بوجه عام، فالاستدلال هو جوهر المنطق وموضوعه، وصياغة الاستدلالات المنطقية هو العمل الذى يقوم به المنطقى. وذلك لمعرفة ما إذا كانت هذه الاستدلالات صحيحة أم غير صحيحة. وما المعايير التى بها نميز بين الصحيح من الحجج المنطقية وبين ما هو باطل منها.

وإذا اقتربنا قليلاً من الممارسة الفعلية للاستدلالات المنطقية ومعايير صحتها وبطلانها فإننا نجد تعريفات عديدة للتفكير الناقد تقدمه بوصفه الوسيلة التى تقرر بشكل معقول ما نعتقده وما لا نعتقد به، أو هو ما يجعلك تقرر بشكل معقول ما نعتقده أو تقوم بفعله، لذلك ارتبط مفهوم التفكير الناقد بالأحكام التى نصدرها أو الحلول التى تقترحها للمشكلات، فهو الذى يعيّن بتأن وحذر الأحكام المقبولة أو المرفوضة أو المعلقة. وهو بذلك يعد وسيلة لاختبارٍ الحلول المقترحة لمعرفة ما إذا كانت صحيحة أم غير صحيحة.

وثمة منظورات أخرى تعين طبيعة التفكير الناقد لا تتعارض بالطبع مع التعريفات السابقة، بل تعطى أبعادًا جديدة لهذا الفرع من المعرفة الإنسانية، وهذا البعد يؤكد على غرضية التفكير الناقد وتوجهه نحو تحقيق

obeikandi.com

أغراض معينة .. وهنا يقترب بنا التفكير النقدى من الممارسة الفعلية والتطبيق العملى، وهنا نجد التفكير النقدى يشير إلى تلك المهارات المعرفية التى تزيد من احتمالية ناتج مرغوب فيه. فهو يتضمن تقييمًا لعملية التفكير والاستدلال الذى يرمى للوصول إلى نتيجة، وخاصة فى تلك الأحوال التى يقوم عليها اتخاذ قرار. لذلك يسمى التفكير الناقد بالتفكير الموجه. لأنه يركز على الناتج المرغوب فيه.

فالغرض من التفكير النقدى هو تحقيق فهم وتقييم وجهات النظر وحل المشكلات، وهو تقييم يخضع للعقل ويتصف بالأمانة الفكرية ويتطلب عقلية متفتحة، فهو كما يقولون يتضمن تتبع الدليل إلى حيث يعود، واضعًا فى الاعتبار كل الاحتمالات. وهو فى ذلك يعول على العقل لا العاطفة ويهتم بالصدق أكثر من اهتمامه بالصحة، أى يهتم بالتطبيق فى الواقع أكثر من مجرد الصحة الصورية.

وهكذا نلاحظ أن هذه التعريفات وما إليها تميل إلى القول بأن التفكير الناقد يهدف إلى تحليل الاعتقادات وتقييمها لتمييز ما هو مقبول منها وما هو غير مقبول وفقًا لمعايير عقلية خالصة.

كما تثير هذه التعريفات أمورًا عديدة تتعلق بعلاقة التفكير الناقد بالتفكير العلمى والمنهج العلمى والمنطق الصورى والمنطق غير الصورى، وهى أمور هامة لا شك فى أن الإشارة إليها تقدم صورة أوضح للتفكير الناقد. ولكن لنبدأ بوقفة تاريخية عن تطور هذا المفهوم.

3 - التفكير الناقد فى تاريخ الفكر الفلسفى :

منذ ما يقرب من خمسة وعشرين قرنًا من الزمان، وجدنا سقراط ينزل إلى الأسواق والطرقات والمحافل المختلفة يجادل ويحاور الناس فى مختلف المهن والصناعات، وأرباب الفكر والسياسة حول المفاهيم التى يتداولونها ويتعاملون معها، وكان يجرى الحوار العميق ليسبر أغوار من يحاورهم ليكشف

عما لديهم عن معانى هذه المفاهيم والتصورات، وقد اكتشف سقراط أن الناس لا يستطيعون تسويغ ما يدعونه من معرفة يثقون فيها، وما يقولونه لا يعدو كونه معان ملتبسة مختلطة أو أدلة غير ملائمة واعتقادات تنطوى على تناقض ذاتى يتسلل غالبًا إلى أفكارهم دون وعى، فتبدوا أقوالهم على صورة طنطنة فارغة، لا يخرج المرء منها بشىء معقول.

وقد وصل سقراط إلى حقيقة تقول بأن المرء لا يمكنه الاعتماد على من هم "فى السلطة" للحصول على معرفة دقيقة ورؤية محددة وقد دلل على أن بعض الأشخاص يتمتعون بمقدرة هائلة ومكانة كبيرة إلا أن آراءهم تبدو بصورة مختلطة وبعيدة عن العقلانية. ومن هنا أعطى سقراط أهمية كبرى لطرح الأسئلة العميقة التى تغوص إلى التفكير بعمق كبير، كما أعطى أهمية للبحث عن الدليل وذلك عن طريق الفحص الدقيق للاستدلالات العقلية والافتراضات، محللاً التصورات الأساسية، ومتتبعًا ما يترتب عليها، ليس فقط بالنسبة لما قيل، بل بالنسبة لما يمكن أن يُعمل. إن طريقة الأسئلة التى وضعها سقراط قد أبرزت الحاجة إلى أن يكون التفكير واضحًا ومتسقًا بطريقة منطقية.

وهكذا نجد عند سقراط الجذور العقلية للتفكير الناقد، حيث مارس سقراط هذا النوع من التفكير ممارسة فعلية من خلال منهجه الذى اتبعه طريقًا إلى التفلسف، وحواره الدقيق الذى كان يجريه مع من يعتقد امتلاك المعرفة والحكمة، وطرح الأسئلة على محاوريه من أجل الوصول إلى الحقيقة فهذا التحليل والتعميم هو جوهر التفكير الناقد.

وبعد ممارسة سقراط للتفكير الناقد رأينا هذا النوع من التفكير يظهر عند أفلاطون وأرسطو والشكاك اليونانيون حيث ركز هؤلاء جميعهم على أن الأشياء تبدو لنا عادة مختلفة عما هى عليه، والعقل المتدرب وحده يكون على استعداد لأن يرتفع من الأشياء كما تبدو لنا على السطح (أى المظاهر الخادعة) إلى الأشياء كما هى عليه فى الحقيقة تحت السطح برزت الحاجة

obeikandi.com

إلى التفكير بشكل نسقى وإلى تتبع ما يترتب على ذلك بشكل واسع وعميق حتى يمكن للتفكير الشامل والعقلانى والقادر على مواجهة الاعتراضات أن يأخذها بعيدًا عن القشرة السطحية.

وفى العصور الوسطى نجد كتابًا يجسدون هذا التفكير الناقد من أمثال توما الأكوينى الذى أقر بأن تفكيره قد واجه العديد من الانتقادات وخضع لاختبار تفكير ناقد، وكان هذا أمرًا ضروريًا لتطوير أفكاره وقد رأى الأكوينى أن أولئك الذين يفكرون بشكل نقدى فإنهم لا يرفضون الاعتقادات القائمة، بل تلك الاعتقادات التى تفتقر إلى الأسس المعقولة.

وفى عصر النهضة (ق 15 ، 16) بدأ سيل من المفكرين فى أوروبا فى التفكير بصورة ناقدة حول الدين والفن والمجتمع والطبيعة الإنسانية والقانون والحرية، حيث افترضوا أن معظم ميادين الحياة الإنسانية بحاجة إلى تحليل ونقد، ومن بين هؤلاء المفكرين كوليت واراسموس ومور فى انجلترا وقد ساروا على ضوء القدماء.

ونجد فى عصر النهضة الإيطالية ميكيا فيلى (فى كتابه "الأمير") الذى وضع أساس التفكير النقدى السياسى الحديث.

وفى العصور الحديثة نجد فرنسيس بيكون الذى يعد أول مساهم حقيقى لوضع المنهج الاستقرائى، والذى يعد كتابه "الأورجانون الجديد". أحد النصوص المتقدمة فى التفكير النقدى، فكان برنامجه شبيهًا جدًا ببرنامج التفكير النقدى التقليدى.

وفى فرنسا نجد ديكارت الذى طور منهجًا فى الفكر الناقد قائم على مبدأ الشك المنهجى، فكل فكر عنده لابد أن يوضع موضع التساؤل والشك والاختبار.

كما نجده عند هوبز ولوك فى انجلترا اللذين نظرا إلى العقل الناقد على أنه يتيح منافذ جديدة للتعليم، تبنى هوبز وجهة النظر الطبيعية عن العالم والتى فيها يتم تفسير كل شىء عن طريق شرحه بالدليل والتفكير العقلى، كما

دافع لوك عن تحليل الحس المشترك للحياة اليومية والفكر. ووضع أساسًا نظريًا للتفكير الناقد الذى يدور حول الحقوق الإنسانية الأساسية ومسئوليات جميع الحكومات للخضوع للنقد العاقل للمواطنين المفكرين.

ومثل هذا التفكير النقدى نجده عن كثير من العلماء من أمثال روبرت بويل واسحق نيوتن وكذلك عند كثير من المفكرين التنويريين الفرنسيين من أمثال منتسكيو وفوليتر وديدرو.

أما فى القرن التاسع عشر فقد امتد مجال التفكير الناقد بشكل أوضح فى ميدان الحياة الاجتماعية على يد اوجست كونت وهربرت سبنسر، كما طبقه كارل ماركس فى مشكلات الرأسمالية، وكذلك طبقه دارون على تاريخ الثقافة الإنسانية وأساس الحياة البيولوجية، كما طبقه سيجموند فرويد فى مجال اللاشعور، كما طبقه فى الثقافة وأدى إلى إقامة مجال الدراسات الانثروبولوجية، وطبقه فى مجال اللغة وأدى إلى مجال اللغويات والعديد من الجوانب العميقة من وظائف الرموز واللغة فى الحياة الإنسانية.

أما فى القرن العشرين فقد ازداد فهمنا لقوة التفكير العلمى وقوته بشكل مطرد من خلال صياغات أكثر دقة، كما نجد ذلك قائمًا عند وليم حراهام سومتر فى مجال التربية والذى انتقد طريقة التعليم فى المدارس على أساس أنها تنتج فى النهاية أشخاصاً من نمط واحد كما لو كانوا شرائح خشبية متماثلة.

وقد توسعنا مع أعمال جون ديوى فى فهم الأساس البراجماتى للفكر الإنسانى أعنى طبيعته الوسيلية، ومع أعمال فتجنشتين فى وعينا ليس فقط لأهمية المفاهيم فى الفكر الإنسانى، بل أيضًا فى الحاجة إلى تحليل هذه المفاهيم وتحديد قوتها وحدودها. ومع أعمال بياجيه فى وعينا باتجاهات الفكر البشرى الفردية والاجتماعية والحاجة الخاصة لتطوير فكر نقدى قادر على العمل مع مختلف وجهات النظر والارتفاع إلى مستوى "التحقق الفعلى الواعى". ومع العلوم الخاصة فى تعليمنا قوة المعلومات وأهمية جمعها

obeikandl.com

بالحذر والدقة الشديدين ومع علم النفس تعلمنا كيف يكون من السهل أن يخدع العقل الإنسانى نفسه، وكيف يكون من السهل عليه تقديم أوهام وأمور خادعة بطريقة لا شعورية.

هكذا يلاحظ أن جذور التفكير النقدى ومصادرة ضاربة فى تاريخ الفكر النقدى وقد ساهم فيه مئات من المفكرين طوال تاريخ الفكر البشرى. رغم تطوره تطورًا هائلاً بالعقود الأخيرة.

4- التفكير الناقد والاعتقاد والمعرفة :

نقرأ أحيانـًا أن التفكير الناقد تحليل للمعرفة وتقييم لها للحكم عليها فى النهاية بالصدق أو الكذب. وهذا القول مجانب للصواب تمامًا، إذ أن المعرفة لا يتم تقييمها للحكم عليها بالصدق أو بالكذب لأن المعرفة دائمًا هى معرفة بالحقائق، ولا يجوز أن نطلق على معلومة بأنها تشكل معرفة إلا إذا سبق لنا تحليلها وتقييمها بأنها صادقة بالفعل، وإلا ما كان يجب أن نطلق عليها "معرفة".

والواقع أن ما نحلله ونقيمه للحكم عليه بالصدق أو بالكذب إنما هو "الاعتقاد"، فالاعتقاد لا يشكل معرفة، فلو قلت "اعتقد أن الزيادة السكانية فى مصر قد جاوزت 3٪ هذا العام"، أو تقول "اعتقد أننى قد قمت بتسديد فاتورة الهاتف عن الشهر الماضى". فمثل هذه الاعتقادات هى التى يجوز فيها الصدق أو الكذب، لأنها لا تشكل معارف "بل" مجرد اعتقادات. ولكى تتحول إلى معارف لابد من توافر شرطين: هما الصدق والتسويغ، فإذا ما ثبت أن الاعتقاد مطابقًا للواقع ويكون بذلك معتقدًا صادقًا، كان هذا معناه أننى قد عرفت الأمر على حقيقته فقد أتضح أنى بالفعل قد قمت بسداد فاتورة الهاتف عن الشهر الماضى فيتحول اعتقادى إلى معرفة بهذا الأمر. لكن صدق الاعتقاد وحده لا يكفى لأن يشكل معرفة، بل لابد من ذكر الطريقة التى عرفت بها صدق المعتقد، كان أقول إننى عثرت على "الفاتورة" التى تدل على

سدادى المبلغ المطلوب منى، أو أننى عرفت نسبة الزيادة السكانية من تصريحات المسئولين نتيجة للبيانات المتوفرة لديهم. وهذا هو تسويغ المعتقد، أى الطريقة التى على أساسها أصبح المعتقد صادقًا، وبالتالى فقد أصبح يشكل جزءًا من معرفتى.

وعلى ذلك فإن التفكير الناقد إنما يتعامل مع الاعتقادات لمعرفة صدقها أو كذبها، لا مع المعارف التى هى بحكم تعريفها صادقة.

ولكن ألا يفترض هذا الموقف بأن معارفنا حقائق لا تقبل الشك، ولا تتعرض لخطأ، لذلك استبعدناها من التقييم من زاوية الصدق والكذب، أو بعبارة أخرى، ألا يثير هذا الموقف مسألة تتعلق بطبيعة المعرفة: هل هى مطلقة أم نسبية؟

لقد قيل إن الثقافة اليونانية فى عصر ربيع الفكر اليونانى كانت ثقافة تقوم على الحقائق المطلقة، التى لا تتغير، بل تظل ثابتة بغض النظر عن زمانها ومكانها، فالعلم الجدير بهذا الاسم لابد أن يكون علمًا بالحقائق المطلقة الثابتة. لذلك كانت الرياضيات هى المثال الذى يحتذى به بالنسبة للعلوم، والحقائق الرياضية صادقة صدقًا مطلقًا ولا يجوز عليها التغير أو تصور الخطأ. إلا أن مثل هذا الرأى لا يمكن الدفاع عنه فى العلوم المختلفة، وحتى فى مجال الرياضيات من وجهة نظر معينة. وكان لظهور جماعة السوفسطائين فى المجتمع اليونانى القديمة والشكاك فى العصر الهللينستى وما ترتب على ذلك من آثار عند كثير من الفلاسفة والعلماء على مر القرون قد أدى إلى القول بنسبية معارفنا، إلى الحد الذى جعل الفيلسوف البريطانى المعاصر برتراندرسل (+1972) يقول بأن جميع معارفنا غير يقينية وغير ثابتة (✭).

(✭) هذا الحكم لا ينطبق بالطبع على الحقائق الدينية، فهذه الحقائق ليست معارف اكتسبناها بجهودنا وعقولنا الإنسانية، بل هى أمور جاءتنا لنسلم بها تسليمًا بوصفها قضايا إيمانية لا يجوز إخضاعها للدليل أو البرهان. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

وهنا قد يقول قائل لماذا إذن رفضنا القول بالتفكير الناقد فى مجال المعرفة من زاوية صدقها أو كذبها، مادامت كل معارفنا معرضه للخطأ؟ وما الفرق إذن بين الاعتقاد والمعرفة؟ أليس ما قلناه هنا يزيل الفوارق بينهما؟

أقول إن الفرق بين الاثنين: الاعتقاد والمعرفة مازال قائمًا. فالاعتقاد تخمين أو افتراض لسنا منذ البداية على ثقة فى كونه مطابقًا للواقع. أما المعرفة ـ حتى على فرض أنها تقبل التغيير، وليست مطلقة ـ فقد ثبت لدينا بالدليل أنها صادقة، وليس هناك حتى الآن أي دليل على كذبها. فهى بالنسبة لنا حقيقة ثابتة إلى أن يأتى دليل ضدها، وهذا الدليل قد يأتى وقد لا يأتى. لذلك فهى متميزة عن الاعتقاد بالشرطين السابقين: الصدق والتسويغ (أو التبرير). وربما كان التفكير الناقد هنا هو الذى يقرر لنا ما نعده معرفة عما لا نعده كذلك.

ولكن ليس معنى هذا أن المعارف لا تخضع للتفكير النقدى، يحللها ويقيمها، بل يمكن تحليلها وتقييمها من زاويا أخرى غير زاوية الصدق والكذب، فقد نقيمها من حيث ملائمتها أو عدم ملائمتها لهذا الأشكال أو ذاك، أو مدى حاجتنا إليها فى هذا الوقت أو ذاك إلى غير ذلك من زوايا.

5- التفكير الناقد والتفكير العلمى :

إذا استخدم شخص المنهج العلمى لدراسة الطبيعة أو فحصها، أو العالم أو فحصه، فإننا نقول عنه أنه يمارس التفكير العلمى. لذلك نقول أن جميع العلماء يمارسون التفكير العلمى ماداموا يدرسون الطبيعة بنشاط ويفحصون العالم باستخدام المنهج العلمى. ولكن التفكير العلمى ليس وقفًا على العلماء وحدهم، فأى شخص يمكنه "التفكير مثل العالم" فهو يتعلم المنهج العلمى، والأهم، أن يطبق مفاهيمه سواء كان (أو كانت) يدرس الطبيعة أم لا. وحين يستخدم المرء مناهج التفكير العلمى ومبادئه فى الحياة اليومية، كأن يدرس التاريخ أو الأدب أو يفحص المجتمعات أو الحكومات أو يبحث عن

حلول لمشكلات الاقتصاد أو الفلسفة، أو مجرد أنه يقوم بمحاولة للإجابة عن أسئلة تدور حول نفسه هو أو معنى الوجود، فإنه يقال عن هذا المرء أنه يمارس التفكير الناقد. فالتفكير الناقد هو تفكير عن المرء نفسه بشكل صحيح ليقود ذلك بنجاح إلى أكثر الإجابات ثقة عن الأسئلة وإلى حلول للمشكلات. وبعبارة أخرى يعطيك التفكير الناقد معرفة موثوقًا بها عن جميع جوانب حياتك ومجتمعك دون أن تكون مقصورة على الدراسة الصورية للطبيعة، والتفكير العلمى يطابق ذلك نظرية وممارسة، إلا أن الاصطلاح يستخدم عادة لوصف المنهج الذى يعطيك معرفة موثوقًا بها عن العالم الطبيعى، ومن الواضح أن التفكير العلمى والتفكير الناقد هما نفس الشىء، وكل ما هنالك أنه بينما يمارس العلماء دائمًا التفكير العلمى، فإن التفكير الناقد يستخدم أحيانًا من قبل البشر وأحيانًا لا يستخدم.

وثمة حقيقة واضحة فى تاريخ الفكر البشرى، وهى أن التفكير العلمى والتفكير الناقد لم يتم اكتشافهما على يد العلماء، وكان هذا الشرف من نصيب فلاسفة اليونان القدماء – مثل أرسطو – الذين ينظر إليهم على أنهم العلماء الأوائل. إلا أن العلماء كانوا هم الذين مارسوا التفكير الناقد ووضعوه فى بؤرة اهتمام المجتمع الحديث وذلك فى القرنين السابع عشر والثامن عشر وهم اليوم الأكثر جدية ودقة ونجاحاً فى ممارسة التفكير الناقد، حقيقة إن بعض المتخصصين فى الإنسانيات والقضاء والإدارة، والصحافة قد عملوا على ممارسة التفكير الناقد كما يفعل العلماء تماماً، إلا أن الكثير منهم للأسف الشديد لم يفعل ذلك. فلا يملك العلماء إلا أن يمارسوا التفكير الناقد لكى يحققوا النجاح، إلا أن متطلبات النجاح عند الآخرين لا تقتضى بالضرورة استخدام التفكير الناقد وهو أمر يؤسف له حقاً.

والواقع أن المنهج العلمى قد برهن على إنه أكثر المناهج ثقة ونجاحًا فى التفكير طوال التاريخ البشرى، وأصبح من الممكن تماماً استخدام التفكير العلمى فى البحوث الإنسانية الأخرى، لهذا السبب يتم تعلم التفكير الناقد –

وهو تطبيق التفكير العلمى على جميع مجالات الدراسة وموضوعات الفحص – فى كثير من البلدان (كندا مثلاً) ويجد تشجيعًا كبيراً بوصفه مثالاً كلياً. ولكن فى الواقع نجد الكثير من الباحثين يرون إن دراسة التفكير العلمى وممارسته سيرمى بك حتماً إلى معرفة التفكير الناقد وممارسته. لذلك نجد التركيز الأهم ينصب على دراسة العلم والتفكير العلمى بصرف النظر عن تخصص الدارس ومجال دراسته وهو بالتالى يصبح أكثر استعدادًا لممارسة التفكير الناقد.

● التفكير الناقد والمنطق غير الصورى :

كثيرا ما يثار فى ذهن الباحثين الذين يعالجون موضوع التفكير الناقد فرعا آخرين من فروع المنطق وهى المسمى بالمنطق غير الصورى Informal Logic، بل ربما اعتقد من يعتقد إن التفكير الناقد لا يخرج عن كونه منطقاً غير صورى، وكأن الأثنين يعنيان نفس الشىء. وربما يأتى هذا الخلط بين الأثنين من أنهما يشتركان معًا فى أنهما يبتعدان إلى حد ما عن المنطق الصورى المعروف، ومع خطأ هذا التقييم، فإن التفكير الناقد قد يساعد على تأكيد حق المنطق غير الصورى ليقف فى وجه المنطق الصورى بوصفه منطقا يساير روح العصر ويتعايش مع قضاياه المعيشة ومشكلاته المتجددة.

والمنطق غير الصورى هو محاولة لتطوير منطق يعالج الدلائل العقلية غير الصورية التى ترد فى التعامل الشخصى والإعلان والنقاش السياسى والحجج القانونية، وكذلك فى أنماط التعليق الاجتماعى الذى نقرأه فى الصحف أو نشاهده فى التليفزيون وعلى الشبكات الإعلامية العالمية وغيرها من وسائل الاتصال، ويقوم هذا المنطق بتقييم هذه الدلائل وتحليليها وتحسينها.

وفى حالات كثيرة، فإن تطور المنطق غير الصورى قد وجد دفعته القوية فى رغبته فى تطوير طرق التحليل والتقييم للتفكير الاستدلالى العادى، وهو أمر يمكن وضعه بوصفه جزءا من تربية عامة تهدف لتنشيط التفكير

obeikandi.com

الاستدلالى العام والمناقشة والحوار، كما يهدف إلى تحسين هذا النوع من التفكير حتى يقوم بدوره الفعال فى هذه المجالات.

وهكذا يبدو المهتمين بالمنطق غير الصورى قريبين جدًا من حركة التفكير الناقد، تلك الحركة التى جعلت هدفها – كما رأينا – تطوير نمط من التربية يصب اهتمامه بشكل أساسى على البحث النقدى، وهى الحركة التى بلغت ذروتها فى الثمانينات من القرن العشرين فى جامعة كاليفورنيا. فقد كانت بدايات المنطق غير الصورى فى الستينيات، حيث وجد تعليم المنطق بشكل يختلف إلى حد ما عما ألفه الناس فى تاريخ المنطق، حيث ظهرت محاولات تطبيق التحليل المنطقى على أمثلة متعينة فى التفكير الاستدلالى العادى الذى نستخدمه فى حياتنا اليومية. وعادة ما تقدم كتابات أرفن كوبى أمثلة واضحة لهذا الاتجاه، فقد كانت معظم أمثلته التى ذكرها استقاها من الصحف والإذاعة والمناقشات السياسية وبعض أقوال الأديان والفلاسفة وغيرهم. وراح هذا المنطق غير الصورى يتطور بشكل سريع من خلال بعض المجلات العلمية التى جعلته محور اهتمامها، بل وحملت بعض هذه المجلات نفس الاسم : مجلة المنطق غير الصورى.

والسؤال الآن : هل يمكن للمنطق غير الصورى وحليفه التفكير النقدى الاستغناء تماماً عن المنطق الصورى ؟

• التفكير الناقد والمنطق الصورى (*).

انتشى أصحاب المنطق غير الصورى عندما قيل لهم إن منطقهم يعد البديل النظرى للمنطق الصورى. ولكن سرعان ما اكتشفوا إن الأمر ليس بهذه البساطة، فالعلاقة بين المنطق الصورى والمنطق غير الصورى معقدة إلى

(*) لمزيد من التفصيلات حول هذا الموضوع الهام : انظر مقال "التفكير الناقد والمنطق الصورى" (1988) الذى كتبه دونالدل. هاتشر، جامعة باركى مركز التفكير الناقد، 1988.

حد بعيد، نعم إننا نستطيع صياغة تدليلات عقلية جيدة وتمارس التفكير الناقد بشكل دقيق باستخدام اللغة العادية، ولكن عندما نبحث فى المنطق غير الصورى فإننا نستخدم مناهج صورية، مما يدل على إننا لا نستطيع الاستغناء عن المنطق الصورى عندما نتحدث عن المنطق غير الصورى، وهذا الأمر قد يبدو واضحًا فى التفكير الناقد.

تميل حركة التفكير الناقد إلى تجاهل المنطق الصورى، وفى هذا التجاهل تجاهل للسمة الصورية للتدليل العقلى الذى يربط مناهج التدليل العقلى بنظم تعليمية معينة مثل الرياضيات والعلم، وبذلك يتقلص استخدام الرموز إلى أدنى الحدود، كما تنتفى المعالجة النسقية للمنطق الرمزى، وتختفى التحليلات الخاصة بالعديد من المفاهيم المهمة مثل "الصورة المنطقية" و"الاستلزام" أو تعالج بطريقة حدسية يعول فيها على مقدرة الطالب على تخيل الأمثلة المخالفة لنوع الحجة المطروحة أمامه، وهى مقدرة لا تبدو متاحة للكثيرين. إن خطايا هذا الإهمال معقدة إلى حد كبير ذلك لأن بعض أعضاء حركة التفكير الناقد لا يعبرون المنطق الصورى اهتماماً فحسب، بل إنهم عادة ما يتحدثون ضد جميع التعاملات الصورية للتفكير النقدى. وها هو ذا ريشارد بول Richard Paul – مدير مركز ولاية سونوما للتفكير النقدى والنقد الأخلاقى – استنتج من مقال مستفز إلى أقصى حد أن نظم التعليم مع إجراءاتها وتركيزها الرقمى قد فشلت فى تقديم أورجانون للتفكير الناقد فى الحياة اليومية، فنحن نعيش بوصفنا كائنات مستدلة داخل خلفية من أنواع غير معبر عنها لأنواع من المنطق السلوكى بشكل عميق. فالنسق المنطقى القائم بالمدارس ليس له إلا علاقة واهية بالمنطق كما نحياه.

وثمة مثال آخر عن تلك النزعة المضادة للصورية المنطقية ما قدمه كيرى والترز Kerry Walters فى مقاله عن "التربية اللبرالية"، حيث اتهم والترز المفكرين الناقدين بنوع من المطلقية المنهجية methodological absalutism أو النزعة الارتدادية التحليلية analytic reductionism . وادعى (ولا أعتقد أن

هذا هو ما يحدث بالفعل، إن المرء فى برنامج التفكير النقدى الدقيق يرد الحجة إلى أبسط عناصرها القصوى التى تتألف منها ثم يقوم بفحص هذه العناصر بشكل منفرد من أجل التوصل إلى قيمة الصدق أو علاقة أحدها بالآخر من أجل الوصول إلى الصورة المنطقية، ثم يقرر بعد ذلك ما إذا كانت الحجة جيدة أو سيئة. وهذا إجراء يراه والتزر غير مقبول، لأنه يفترض نوعا من المطلقية المنهجية وهى مضلله ولا مبرر لها. وبعبارة أخرى، فإن والتزر يعتقد إن هناك طرقا أخرى مقبولة لتقييم مصداقية أى موقف.

وهكذا فإن والتزر وبول يعتقدان – انطلاقا من اتجاهات كيركجارديه فى معظمها إن "تعقيد الحياة" لا يسمح بالتحليل وفق تكنيك المنطق الصورى. وفضلا عن تعقيد الحياة فهناك بلاشك أسباب عملية فى عدم تركيز التفكير الناقد على المنطق الصورى، أهمها :

1- إن معظم الحجج التى نتعامل معها فى مجرى الحياة اليومية لا تظهر على أنها حجج استنباطية صحيحة. وبالتالى قد يتساءل المرء لماذا يضيع الوقت فى التمسك بالمنطق الصورى.

2- إن المنطق الصورى قد أصبح شبيهاً بالرياضيات من حيث استخدامه للرموز والإجراءات الرياضية. ولما لم يكن جميع الطلاب يميلون إلى هذه الإجراءات، فقد نفر هؤلاء من المنطق الصورى.

3- إن من المعتقد أن دراسة المنطق التقليدى لا تعد الطلاب لمواجهة المشكلات فى التفكير الاستدلالى الذى يجده فى الحياة اليومية. فكان من أهداف التفكير الناقد مساعدة الطلاب على تقييم الاعتقادات والدعاوى والحجج أيا كان موضعها، وبالتالى لم تكن المناهج الرمزية للمناهج القديمة للمنطق غير فعالة، وكان لابد من اللجوء إلى الصياغات غير الرمزية لتحليل الحجج.

وقد ناقش هاتشر هذا الموقف المعادى للمنطق الصورى فى مقاله عن "التفكير الناقد والمنطق الصورى" وقد رأى إن الهدف الذى يمكن أن يحققه

التفكير الناقد قد لا يحقق إلا بتعليم أساسيات المنطق الصورى. وتساءل هاتشر ما الهدف من تعليم التفكير الناقد، وأجاب على ذلك بأننا نهدف إلى تعليم الطلاب كيف يكونوا متعقلين، أى أن يتعلموا تقييم اعتقاداتهم واعتقادات الآخرين قبل يأخذوا بها فى مجال الفعل. وأول خطوة فى تقييم الاعتقادات يتطلب أن يكون على درجة كافية من الوضوح حتى يتم تقييمه: ماذا يكون هذا الاعتقاد، وما الأسباب التى تؤيده بوصفها دليلاً على صحته. وهذا الوضوح أمر هام جداً فى الخطاب البلاغى للحياة اليومية. ويتبدى الوضوح بوصفه دعاوى هى نتائج حقيقية لحجج، ويمكن النظر إلى الأسباب المتاحة لهذه الدعاوى على أنها المقدمات التى وضعت لتدعيم النتيجة.

ويبدو إن تقييم معتقد ما إنما هو تقييم للحجة التى تعبر عن الاعتقاد. وتقيم أى حجة ليس أمرًا يسيرا لأنه يتطلب تحديد الاعتراضات غير المعلنة أو الافتراضات المسبقة وغير ذلك. وباختصار فإن تقييم أى حجة يتطلب وجود مقياس أو معيار Standard أو مجموعة المقاييس التى على أساسها تتم عملية التقييم. وهذه المقاييس لابد أن تسمح للمرء التمييز بين الحجج الجيدة والحجج السيئة. أى الحجج تفتقر إلى التدعيم الكافى أو الحجج التى تنطوى على تدعيم منطقى قوى. وهكذا فإن التفكير الناقد يتطلب معرفة وتطبيقا لمقياس ما – قاعدة ما – حتى يتمكن من الحكم، وبدون ذلك لا يكون لدى الشخص وسيلة لتبرير الاعتقاد فى موقف معين ورفضه فى موقف آخر، أى لا يكون لدى الشخص ما يفصل به بين الحجة الجيدة والحجة السيئة.

لذلك فإننا حين نطلب من الدارس أن يكون لديه مثل هذا المقياس فإنه يكون أمام العديد من الخيارات : المعيار الذاتى، والمعيار الثقافى واللجوء إلى التكتيك اللاصورى أو الأخذ بمناهج المنطق الصورى.

1- يعنى المعيار الذاتى اللجوء إلى الأمور الشخصية أو الحدسية فى الحجة. وهو أمر لا يمدنا بمقياس مناسب، فا الاستجابات الذاتية تتعدد تعدداً هائلاً، على وجه يصبح معه المعايير المعقولة متعددة بشكل مخيف،

فضلاً عن أن الشخص إذا ما حكم على معقولية اعتقاد ما باللجوء إلى الأمور الشخصية أو الحدسية فإن جميع الاعتقادات الأخرى المتناقضة يمكن أخذها على أنها عقلية دون أن تكون هناك طريقة واضحة لتقرير الاختلاف بينها. وعلى ذلك فإن المقياس الذاتى لا يصلح لأن يكون مقياسًا يمكنه الفصل بين الاعتقادات المعقولة والاعتقادات اللامعقولة، وهو فى الواقع مصدر المشكلة وليس حلاً لها.

2- ومثل هذا يقال عن المعايير norms الثقافية، فهى لا تقدم لنا المقياس المطلوب، فالاستجابات الثقافية بالنسبة لمعقولية حجة ما تكون أشبه بأمور التذوق الذاتى تتعارض وتتغير من وقت لآخر، بل ربما تتعدد المعايير الثقافية داخل نفس الثقافة على وجه يصبح معه من العبث البحث عن شىء يسمى "المعيار الثقافى".

وهكذا نجد أنفسنا أمام بديلين فقط أو ربما مركب منهما : فنحن إما نستخدم التكنيك اللاصورى الموجود فى النص الحرفى للتفكير الناقد أو أن نشرح تقييم الحجج من خلال مناهج المنطق الصورى ومفاهيمه. أو أن نقوم بعمل مركب منهما. ونحن بالطبع لا نستطيع الاقتصار على المنطق الصورى، وإلا لعدنا بالتفكير الناقد إلى العصور الوسطى، وهو أمر غير معقول. كما أن فى الاقتصار على المنطق اللاصورى وحده فوات الكثير من الأمور الهامة فى التفكير الناقد التى لا تتحقق إلا باستخدام المنطق الصورى أيضًا. فإذا كان يهدف من دراسة التفكير الناقد هو تقديم المقاييس العقلية التى تسمح لنا بالتمييز بين الحجج الجيدة والحجج السيئة، فإن هذا الهدف يسمح للاتجاه الصورى أن يدافع عن وجوده فى التفكير الناقد للأسباب التالية :

أولاً : إن المفاهيم المستخدمة من قبل المناطقة الصوريين لتقييم الحجج محددة بوضوح. مفاهيم مثل "الصحة" و"الاستلزام" و"الدقة" يمكن شرحها بقدر كبير من الصرامة، فإذا كان التفكير الاستدلالى الجيد هو الحفاظ على "الصدق" فإن الدارس سيدرك تماماً إن أكثر الاعتقادات

معقولية هى تلك التى يتم تدعيمها عن طريق الأسباب أو المقدمات التى إذا ما صحت كانت ضماناً على صحة الاعتقاد (النتيجة).

ثانيًا : هناك أسباب سيكولوجية تدعو إلى التركيز على المنطق الصورى، ذلك لأن التقييم النقدى للاعتقادات الشخصية يصبح أكثر يسرا حين يتحقق الدارس من أن التقييم هو تقييم للحجة وليس تقييماً للاعتقادات نفسها. والحجج ليس فيها بالطبع شخصيات أو "أنات" وكل ما فيها مقدمات ونتائج، فإذا ما سلم الشخص بالمقدمات فى الحجة الاستنباطية سلم بالنتيجة بالمثل، وفى الحجج الاستقرائية القوية إذا ما سلم بالنتيجة لمقدمات سلم بإمكان صحة النتيجة بالمثل. وهكذا يكون مثال التفكير النقدى؛ فهو غير متشخص، بل يخضع لقواعد صورية غير شخصية، وهو يتحرك بعيداً عن المشاعر الشخصية والتجمعات الجماهيرية.

ثالثًا : هناك بعض الاعتبارات العملية البراجماتية لاستخدام المنطق الصورى. إن المغالطات غير الصورية – وهى قلب كثير من نصوص التفكير النقدى – يمكن أن يتم فهمها بصورة أيسر إذا ما فهم الدارس المنطق الصورى. فمعظم المغالطات غير الصورية هى مغالطات لأن النتيجة فيها لا تلزم عن المقدمات أو تدعمها المقدمات بصرف النظر عن مدى الاقتناع بأنها صحيحة. إن مبادئ المنطق الصورى من شأنها أن تحسم هذه العملية.

وينتهى هاتشر إلى القول بأن هناك أسس براجماتية لتدريس المنطق الصورى فى مقررات التفكير الناقد، وليس من الحكمة انتقاده بوصفه أمرًا انتهى وطوى التاريخ صفحته إلى الأبد.

أهم مصادر البحث

1- Black, M, Critical Thinking.

2- Hatcher, D., Critical Thinking and formal Logic. Http: // www. Edu /htal / cnt / liberacture / dlh ct – Logic. htm /.

3- Schafersman, S. D., An indroduction to Science Scientific Thinking and Scientific method. http : // www. Freeiaguiuy. Com / into – to – Sci : htm.

4- Leo Groarke, "Informal Logic", in Stanford Encyclopedia of Philosophy 2002.

5- A Brief History of the idea of Critical Thinking. http //. H. vandgk. Tripod. Com / Thinking Htm /.

obeikandi.com